Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

مفهوم الشرف في فلسفة آرثر شوبنهاور

The concept of honor in the philosophy of Arthur Schopenhauer

شلابي يوسف عبد العظيم Chalabi Youcef Abdeladim[1]، حامي حسان Hami Hassan[2]

[1] طالب دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، مخبر المجتمع الجزائري المعاصر،

Doctorant, Université Mohamed Lamine Debaghine Sétif 2, Faculté des sciences humaines et Sociales, Département de sociologie, Laboratoire la société algérienne contemporaine,

الايميل المهني للباحث الأول yo.chalabi@univ-setif2.dz

[2] أستاذ التعليم العالي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم علم الاجتماع، مخبر المجتمع الجزائري المعاصر،

Professeur, Université Mohamed Lamine Debaghine Sétif 2, Faculté des sciences humaines et sociales, Département de sociologie, Laboratoire la société algérienne contemporaine,

الإيميل المهني للباحث الثاني h.hami@univ-setif2.dz

المؤلف المراسل: شلابي يوسف عبد العظيم Chalabi Youcef Abdeladim

تاريخ الاستلام: 2024/09/27 **تاريخ القبول :** 2024/12/27

الملخص:

تحاول دراستنا الحالية استكشاف عالم الفلسفة العميق والمعقد، من خلال تسليط الضوء على واحدة من القيم الاجتماعية الغابرة في زمننا المعاصر ألا وهي الشرف. حيث قمنا باستقصاء هذه القيمة من خلال فكر الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور، هذا الأخير الذي برزت فلسفته أساسا خلال القرن العشرين والتي كان لها تأثيرا قويا على العديد من العلماء، الفلاسفة وحتى الفنانين.

ولتحقيق أهداف هذا البحث والمتمثلة أساسا في الكشف عن التصور الفكري لمفهوم الشرف في فلسفة المفكر الألماني آرثر شوبنهاور، اعتمدنا على المنهج التأويلي الفلسفي لتفكيك المفهوم ومن ثم إعادة بنائه؛ حيث توصلنا إلى مجموعة من النتائج، أبرزها أن الشرف في فلسفة شوبنهاور تصور قائم على أساس منفعي يعكس الثقافة السائدة في المجتمع الذي عاش فيه الفيلسوف، كما أن الشرف ينقسم إلى أربعة أنواع حيث كل نوع له أسسه العامة التي تحكمه.

الكلمات المفتاحية: الشرف، الفلسفة، التمثل، شوبنهاور.

Abstract:

Our current study attempts to explore the deep and complex world of philosophy by shedding light on one of the ancient social values of our contemporary time: honor. We investigated this value through the thought of the German philosopher Arthur Schopenhauer, the latter whose philosophy emerged mainly during the twentieth century and which had a strong influence on many scientists, philosophers and even artists.

To achieve the objectives of this research, which are mainly to reveal the intellectual perception of the concept of honor in the philosophy of the German thinker Arthur Schopenhauer, we relied on the philosophical interpretive approach to deconstruct the concept and then rebuild it. We reached a set of results, the most prominent of which is that honor in Schopenhauer's philosophy is a concept based on a utilitarian basis that reflects the prevailing culture in the society in which the philosopher lived. Honor is also divided into four types, where each type has its general foundations that govern it...

Keywords: Honor, Philosophy, Representation, Schopenhauer.

مقدمة:

يعد آرثر شوبنهاور واحد من أهم الأقلام الفلسفية التي تطرقت لمسألة الشرف في العصر الحديث. بحيث خصص للموضوع جزء مهما في كتاباته، حاول من خلالها التفصيل في هذا المفهوم الشائك والكثير الغموض.

وعلى اعتبار أن الشرف من القيم الجوهرية اللصيقة بالحياة البشرية بصفة عامة، فإن تساؤلنا في هذه الدراسة يتمحور أساسا حول ماهية تصور المفكر الألماني آرثر شوبنهاور لمفهوم الشرف؟ كيف ركب وحدد هذا الفيلسوف مفهوم هذه القيمة التي يرى فيها بأنها موجودة في كل زمان ومكان؟ ثم ماهي الأنواع التي يمكن أن يأخذها الشرف في فلسفة آرثر شوبنهاور؟

هكذا فإن لدراستنا الحالية من الأهمية ما تكتسيها من خلال النهايات التي نصبوا إلى تحقيقها، والتي تبرز في هدفين رئيسيين: الأول يكمن في الكشف عن مفهوم الشرف في الفكر الفلسفي للمفكر الألماني آرثر شوبنهاور، والثاني يتمحور حول تقصي الأنواع التي يأخذها الشرف في التصور الفكري لهذا الفيلسوف، الذي شكلت فلسفته موضوع جدل بين الكثير من معاصريه.

ولتحقيق هذا المبتغى، فقد اعتمادنا أساسا على المنهج التأويلي الفلسفي في تفكيك وفهم فلسفة شوبنهاور من جهة، والتصور الذي طرحه حول مفهوم الشرف من جهة أخرى. مستندينا في ذلك على أهم النصوص التي ألفها هذا الفيلسوف وفي مقدمتها مؤلفه " **Aphorismen zur Lebensweisheit**" والذي تُرجم إلى العديد من اللغات العالمية على غرار العربية، حيث تولى الترجمة إلى اللسان العربي الباحث عبد الله زارو بعنوان "***فن العيش الحكيم تأملات في الحياة والناس***". وهو كتاب تعرض فيه شوبنهاور للعديد من المسائل الحياتية وكان الشرف من أبرزها، بحيث خصص جزء مهما لذلك. كما اعتمدنا كذلك على مؤلفه الشهير "**Die Welt als Wille und Vorstellung**" والذي تحمل عبئ ترجمته إلى العربية الدكتور المصري سعيد توفيق تحت عنوان: "***العالم إرادة وتمثل***"، وهو الكتاب الذي تبرز فيه معالم فلسفة شوبنهاور ونظرته للعالم والوجود بصفة عامة.

المحور الأول: شوبنهاور: محطات في الحياة

يعد فيلسوف التشاؤم، على حد تعبير العديد من الباحثين الذين عكفوا على دراسة أعماله، واحد من أهم العقول الفلسفية الألمانية التي برزت أعماله أساسا خلال القرن العشرين، وذلك لما خلَّفه آرثر شوبنهاور من أثر على العديد من الفنانين والفلاسفة والعلماء المحتكين بأعماله.

وقد ولد شوبنهاور في 22 من شهر فيفري لسنة 1788م بمدينة دانتزيغ (*Danzig*) البولندية في وسط عائلة بورجوازية. حيث كان والده من التجار الناجحين، حتى أنه على ذكر جورج طرابيشي[1]، قد سعى ابنه بآرثر رغبة منه في أن يسلك مسلكه وأن يكون ولده تاجرا ومواطنا ذو سمعة عالمية. إلا أن هذه الرغبة لم تتحقق برغم المحاولات المتكررة لشوبنهاور الابن في اكتساح عالم التجارة بعد وفاة أبيه منتحرا سنة 1805م[2]. وهذا نتيجة اهتمام آرثر بالفنون والآداب، إذ يقال أنَّ هذه الميولات الفنية ورثها عن والدته يوهانا تروزينر (Johanna Trosiener)[3] التي كانت روائية ناجحة[4]، الأمر الذي جعله ينتهج مسار العلم والفلسفة.

بدأ التكوين الأكاديمي لشوبنهاور بجامعة جوتنجن (Göttingen) أين سجل لدراسة الطب[5]، لكن التأثير القوي لأستاذه الفيلسوف جوتلوب إرنست شولتسه (Gottlob Ernst Schulze)، الذي حَثَّه على دراسة فلسفة إيمانويل كانط وأفلاطون[6]، سرعان ما جعل شوبنهاور يتوجه نحو الفلسفة. إذ بعد سنتين من تسجيله في كلية الطب انتقل آرثر إلى جامعة هومبولت (Humboldt) ببرلين، أين قضى سنتين (بين 1811م و1813م)[7] في دراسة الفلسفة. حيث كلل تكوينه بتَحصُّلِهِ على شهادة الدكتوراه بعد مناقشته لأطروحة موسومة بـ: "الأصول الأربعة لمبدأ السبب الكافي"[8].

وبالإضافة إلى تكوينه الأكاديمي، فقد شكلت أسفار شوبنهاور جزء لا يستهان به في بلورة فكره الفلسفي. فقد ترعرع في مدينتين، دانتزيغ وهامبورغ الألمانيتين، كما تنقل إلى العديد من البلدان الأوروبية رفقة أبيه: كإنجلترا، سويسرا، النمسا... الخ[9]، ما تسنى له من اكتساب العديد من التجارب واللغات اللاتينية على غرار الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، حتى أنه قام بترجمة كتاب له إلى اللاتينية بعنوان: **الصورة والألوان** الذي نشر في سنة 1830م[10].

وبعد كل هذا المسار الحياتي الثري بالتجارب بين الأسفار والتكوين، بدأ شوبنهاور حياته المهنية كأستاذ في جامعة هومبولت (Humboldt) وقد دامت لعقد من الزمن (بين سنتي

1820م و1831م) إلا أنه لم يحقق نجاحا بارزا يُشهد له، ذلك أن أساتذة الفلسفة تآمروا عليه بالنظر لتهجمه عليهم وزعمه أنه الوريث الوحيد لفيلسوف الكرامة إيمانويل كانط.[11] إضافة إلى هذا، فإن تقاطع زمن إلقاء محاضرات شوبنهاور مع تلك التي كان يقدمها فريدريك هيجل، الذي كان أكثر شهرة من آرثر، أخمد شعاع فكر شوبنهاور[12]، ما دفع هذا الأخير إلى العكوف عن ممارسة النشاط التعليمي لكن بالاستمرار في الدفاع عن أفكاره بالكتابة إلى أن وافته المنية.

توفي شوبنهاور بمدينة فرانكفورت في سنة 1860م، تاركا من ورائه إرثا فكريا فلسفيا مهما متبلورا في العديد من المؤلفات نذكر أبرزها: "العالم إرادة وتمثل" الذي ألفه بين 1814م و1818م، "فن العيش الحكيم تأملات في الحياة والناس" الصادر سنة 1851م، و "فن في أن تكون دائما على صواب" المنشور في عام 1864م؛ بالإضافة إلى كتب أخرى أقل ما يقال عنها أنها مؤشرات عن حياة حافلة بالنجاح لإنسان لم تُستَوْعب أفكاره في آجلها. وهو ما يقودنا في الصفحات القادمة لاستكشاف فلسفة شوبنهاور.

المحور الثاني: حول فلسفة شوبنهاور: الأسس والتأثير

إن الحديث عن فلسفة شوبنهاور والأسس العامة التي تحكمها، يجرنا حتما للحديث أولا عن السياق الثقافي والتاريخي الذي ظهرت فيه فلسفة شوبنهاور والذي كان له تأثيرا في بلورت أفكاره، فالإنسان وليد بيئته كما يرى صاحب المقدمة عبد الرحمان ابن خلدون.

ومن أهم ما ميز البيئة التي تولَّدت فيها أفكار شوبنهاور، هي أنها تمخضت في ظل التحولات السوسيو-اقتصادية التي شهدتها القارة الأوروبية. بدء بالثورة الصناعية التي انطلقت من بريطانيا في منتصف القرن السابع عشر ميلادي، والتي شكلت منعرجا كبيرا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أوروبا والعالم ككل، بحيث حولت الفكر الإنساني من الاهتمام بالروحي والميتافيزيقي إلى المادي. كما ظهرت فلسفة شوبنهاور في ظل الثورة الفرنسية التي كان لها تأثيرا بخاصة في الحياة السياسية حيث غيرت في أنظمة الحكم من الأنظمة الملكية إلى الجمهورية.

وهذه الثورات بصفة عامة جاءت كنتيجة للأوضاع الاجتماعية المزرية التي عاشتها أوروبا آن ذاك من فقر الطبقة العامة، وطغيان الكنيسة والملوك في الاستحواذ على ثروات الشعوب؛ لكن ليس هذا فحسب، فهي كذلك ثورات جاءت كمحصلة لمختلف الجهود الفلسفية التي كانت تنادي بأسبقية العقل على النقل.

ولما كان الفلاسفة والعلماء منصبون في تفكيرهم حول جوانب الحياة المادية وفي عقلنة الحياة والإنسان، توجه شوبنهاور بفكره للبحث عن جوهر الحياة باعتبار هذه الأخيرة شر لا بد منه.

إن هذا المنحى الذي سلكه شوبنهاور مكنه من رسم الخطوط الكبرى التي تسير عليها فلسفته والمتمثلة في مفهومي الإرادة والتمثل للعالم. وقبل الوقوف عند هذين المفهومين باعتبارهما اللبنة الأساسية في فلسفة شوبنهاور، فإنه تجدر الإشارة إلى أن فكره مستاق من ثلاث مصادر فلسفية رئيسية، تبرز في كتابته سواء متفقا معها أو ناقدا لها، وهي: الفلسفة الأفلاطونية، الفلسفة الكانطية والفلسفة الهندوسية القديمة.

ويعرف شوبنهاور الإرادة بأنها: "معرفة الجسم بطريقة قبلية، وأن الجسم هو معرفة الإرادة بطريقة بعدية"[25]. أي أن الإرادة هي الدافع نحو إدراك الشيء في حد ذاته، بل هي الشيء في ذاته. فهي الحقيقة الباطنية للعالم وجوهره. ولهذا فكل تأثير على الجسم هو تأثير على الإرادة بحيث كل فعل مضاد للإرادة نسميه ألمًا وكل ما يتوافق معها نسميه لذةً.[26]

ويشكل الجسد باعتباره مادة في نظر شوبنهاور، الجانب الظاهر للإرادة باعتبارها الجزء الكامن الذي يحكم الجسد وحركته، ذلك أن "الجسم في مجمله ليس شيئا آخر سوى الإرادة مجسدة"[27]، كونه كيفما أسماه شوبنهاور: التحقق الموضوعي للإرادة.[28] لهذا فإن إدراك الإرادة لا يمكن إلا عبر الجسد أو الذات العارفة.

فالجسم شرط أساسي في معرفة الإرادة، حيث يقول شوبنهاور في هذا الصدد "إن معرفتي بإرادتي ...لا يمكن أن تنفصل عن معرفتي بجسمي، وإنما أعرفها فقط في أفعالها الجزئية، ومن ثم في الزمان الذي هو بمثابة الصورة التي يتجلى من خلالها جسمي"[29]. فمن خلال الجسم يتسنى للإنسان معرفة إرادته.

من هنا تبرز لنا أهمية الإرادة في فكر شوبنهاور، كونها الآلية التي تسمح للإنسان من إدراك وتفسير أسباب وجوده ومجمل سلوكياته في الحياة. فالإرادة يقول شوبنهاور هي الوحيدة والكفيلة بمنح الانسان "مفتاح تفسير ظاهرة وجوده الخاص،

ويكشف له عن مغزى وجوده، ويبين له الآلية الباطنية الكامنة وراء وجوده وأفعاله وحركاته"[30]

في الأخير يرى شوبنهاور أن الإرادة هي "إرادة الحياة التي تعبر عن نفسها كاندفاع أعمى لا عاقل نحو الحياة"[31]. بمعنى أن الإرادة تشمل أولا جميع جوانب الحياة وليس الإنسان فحسب، وإنما تتجاوز ذلك لتشمل الطبيعة والكون ككل. وثانيا، بأنها فعل لا عقلاني، أي نابع من الوجدان لا يخضع لقوانين العقل.

فالإرادة عند شوبنهاور هي غير ذلك التصور العام الذي يرى في أنها دافع نفسي يخص الإنسان لتحقيق مبتغاه؛ وإنما دافع متبلور في الطبيعة كما في الإنسان. فالمتأمل في الطبيعة وظواهرها، يجد بأنها حلقة متسلسلة من الصراعات من أجل الوجود. وهذا الاندفاع الأعمى هو إرادة الحياة من أجل البقاء؛ وهي جوهر الحياة.

أما بالنسبة لمفهوم التمثل، فشوبنهاور يرى بأننا نرى العالم وفق تصوراتنا المستمدة من أحاسيسنا، أي أننا ندرك الأشياء المحيطة بنا والعالم الخارجي عن ذواتنا انطلاقا من أفكارنا والتصورات الخاصة بنا. لهذا قال في مبتدأ حديثه عن هذه الفكرة "العالم تمثلي"[32] أي تصوري وفقا لذاتي. من هنا فإن كل موجود يشكل موضوعا بالنسبة للذات المدركة له، وهذه الثنائية -الذات والموضوع- هي الأساس في البناء المعرفي للعالم في تصور شوبنهاور. فهما نصفين جوهريين ضروريين متلازمين في تأليف معرفتنا حول العالم، يقول شوبنهاور: "والنصف الأول هو الموضوع ... والنصف الثاني هو الذات"[33]

والتمثل في نظر شوبنهاور نوعان: تمثلات حدسية وتمثلات مجردة. والتمثل الحدسي (Intuitive Representation) هو النوع الذي يستوعب العالم المرئي كليةً وهو مشترك بين الإنسان والحيوان، كون عملية الإدراك فيه تتم من خلال الحواس الخمس. إلا أن ما يميز الإنسان عن باقي الحيوانات هو التمثل المجرد (Abstract Representation) كونه مرتبط بالعقل الذي يُعتبر أحد الخاصيات الأساسية التي ينفرد بها الإنسان في هذا العالم.[34]

إن فلسفة شوبنهاور المتبلورة في كتابه الرئيسي: العالم إرادة وتمثل، لم يكن لها تأثيرا قويا غداة ظهورها، وهذا راجع لأسباب لعل أبرزها هيمنة معاصره فريدريك هيجل (Friedrich Hegel) على الساحة الفلسفية آن ذاك[35]. إلا أنها سرعان ما بدأت بالسطوع بعدما دافع الموسيقار الألماني الشهير ريتشارد فاجنر (Richard Wagner) عن عمل شوبنهاور بقوله: "آرثر شوبنهاور أكبر فيلسوف بعد كانط وأول من تعقل أفكاره إلى النهاية ... وبالمقارنة معه لا يعدو أضراب هيجل ... أن يكونوا من المشعودين"[36] ليصبح كتاب شوبنهاور أعظم عمل من الناحية الفلسفية والثقافية في القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين[37]، بحيث كان له تأثير على العديد من الفنانين والفلاسفة وحتى العلماء.

فمن الفنانين الذي تأثروا بفلسفة شوبنهاور، نجد الروائي والأديب الألماني توماس مان (Thomas Mann) المتحصل على جائزة نوبل للأدب سنة 1929 بفضل أولى رواياته: "بودنبروك. قصة انهيار عائلة" والتي يشير فيها توماس مان لكتاب شوبنهاور الأشهر "العالم كإرادة وتمثل".[38] ومن الفلاسفة نجد فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche) الذي خصص كتابا بأكمله لصاحب فلسفة الإرادة، حيث يذكر في متن الكتاب عرفانا بالجميل الذي قدمه شوبنهاور له: "لا أعرف أية طريقة أفضل من أن يتذكر المرء مربيه ومهذبه. ولهذا سأتذكر المعلم الوحيد ورجل المهمات الذي يمكنني التفاخر به، إنه آرثر شوبنهاور"[39]

ومن العلماء نجد القائمة طويلة فها هو عالم النفس سيغموند فرويد (Sigmund Freud) الذي يُلاحَظُ كثيرا على أعماله التشابه والتقارب مع فلسفة شوبنهاور بخاصة علاقة الغرائز في توجيه السلوكيات[40]. ونجد كذلك عالم الاجتماع هانري بارغسون (Henry Bergson)، ومن علماء الفيزياء نذكر ألبرت أينشطاين (Albert Einstein) وعالم الفيزياء الكمية ارفين شرودينغار (Erwin Schrödinger). وكل هذا يدعوا لا محال إلى اكتشاف أو إعادة اكتشاف فلسفة شوبنهاور، وما من شأنها أن تفتح أبواب ونوافذ معرفية فلسفية وكدا علمية جديدة.

المحور الثالث: مفهوم الشرف عند شوبنهاور

كما تقدم بنا الذكر في مقدمة هذا المقال، فقد برز مفهوم الشرف في مؤلفات شوبنهاور في الفصل الرابع من كتابه: فن العيش الحكيم تأملات في الناس والحياة. وهو فصل تناول فيه الفيلسوف الألماني مسألة التمثلات الاجتماعية التي يقسمها إلى ثلاث أقسام: المكانة، الشرف والمجد.[41] معتبرا إياها -أي التمثلات الاجتماعية- التصور الذي يمثله الفرد في نظرة الآخرين من بني جنسه، والتي يرى فيها شوبنهاور أنها نظرة يجب ألَّا تؤثر في الإنسان حتى لا تتأثر سعادته.[42]

ويذهب شوبنهاور في تعريفه للشرف على أنه "الضمير الخارجي، والضمير هو الشرف الداخلي"[43]، أي أن الشرف هو الأحكام التي تصدر حول سلوكياتنا، سواء كانت من طرف أفراد الجماعة أو من طرفنا حول ذواتنا. وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب العالم إرادة وتمثل "الشرف هو، موضوعيا، الرأي الذي يحمله الآخرون حول قيمتنا، وذاتيا، هو الخوف الذي يلهمنا هذا الرأي"[44]، بمعنى أن الضمير الخارجي هو تلك الأحكام التي يُسقطها علينا أفراد الجماعة التي ننتمي إليها أو نبتغي الانتماء إليها، ما يشكل قيمتنا في بصيرتهم. ويتكوَّن من جراء تلك الأحكام شعورا بالخوف ينتابنا خشية أن يكون شرفنا غير مكتمل وبالتالي نكون محل انتقاد.

هكذا إذن يرى شوبنهاور الشرف، فلا وجود له من دون ضمير ولا ضمير من دون شرف. فهو جملة أحكام خارجية/موضوعية وداخلية/ذاتية حول مجموعة من التصرفات التي ننتهجها، وفقط الضمير وحده من يحدد الشريف منها من عدمه. فالضمير والشرف مفهومين متلازمين، كون الأول يعمل على تفعيل الثاني، فالإنسان الذي لا يعي معنى الشرف لا يمكنه أن ينتهج وفق القواعد الناظمة للسلوك الشريف، على اعتبار أن الضمير هو الذي يمنح الانسان ذلك "الاستعداد النفسي لإدراك الحسن والقبيح من الأفعال، مصحوب بالقدرة على اصدار أحكام أخلاقية مباشرة على قيمة بعض الأفعال الفردية"[45]

وإذا كانت عبارة "الشرف هو الضمير الخارجي، والضمير هو الشرف الداخلي" تشير إلى الارتباط الوثيق بين مفهومي الشرف والضمير في فكر شوبنهاور، فلعله من وراء هذا التصور مجموعة من الدوافع تعمل على تحفيز الفرد والجماعة، على حد سواء، للاعتقاد في هذا المفهوم. وقد لخّص شوبنهاور هذه المسألة في ثلاث رغبات رئيسية تجعل الفرد يميل إلى إرضاء الآخرين:[46]

- الرغبة في العضوية مع الجماعة البشرية.
- الرغبة في أن يكون نافعا في المجتمع.
- الاستفادة من مزايا وايجابيات الجماعة البشرية.

ويبرز من خلال الدوافع القائمة من وراء الشرف في تصور شوبنهاور، تلك الطبيعة التي تختص بها هذه القيمة. فهي شعور إنساني متأصل في ذات كل إنسان له الرغبة في الانضمام إلى جماعة بشرية، كون الإنسان اجتماعي بالطبع. وهي كذلك اجتماعية الطبيعة، كون مصدر الشرف الأساسي هو انطباعات الناس حول سلوكيات الفرد، يقول شوبنهاور في هذا الصدد "هذه الخصلة في الناس هي مصدر احساسهم بالشرف"[47]. لهذا يرى شوبنهاور بأنه على عكس المكانة أو المجد اللذان لهما خاصية الاكتساب والفقدان، فالشرف لا يجب فقط أن يفقد. بمعنى أنه موجود ومتأصل في كل ذات بشرية في كل زمان ومكان، إذ يتوجب على الإنسان أن يعمل للمحافظة عليه كون "فقدان الشرف يعتبر فقدانا نهائيا غير قابل لاستعادة ولا ترميم"[48]

والعلامة الأخرى التي تبرز فيها طبيعة الشرف في فلسفة شوبنهاور هي ذلك المنحى الإيجابي الذي يأخذه الشرف في المجتمع. بحيث ينظر إليه على أنه قيمة مرحب بها، وهذا لما لها من أثر إيجابي تخلفه في نفوس البشر "الشرف دو طابع إيجابي جدا، أي أنه حيوي لأن الحفاظ عليه سلوك متواتر"[49] كونه "يرتكز على اقتناع راسخ بثبات الطبع الأخلاقي"[50]

أخيرا، الشرف بحسب شوبنهاور لا يشكل معطى جوهري في الطبيعة البشرية، وإنما هو وليد ظروف تاريخية تبلورت من خلالها المبادئ التي تحكم هذا المفهوم وما ينطوي عليه من سلوكيات بشرية واجتماعية. يقول شوبنهاور "فقد شهد -أي الشرف- ولادته الأولى في الوقت الذي راجت فيه اللكمات أكثر من النَّطَحَاتُ، وكان القساوسة يكبلون فيه عقول الناس بأغلالهم المُحكمة"[51]

المحور الرابع: أنواع الشرف عند شوبنهاور

لقد حدد شوبنهاور أربع أصناف رئيسية للشرف، تنبثق منها أصناف وفروع أخرى مقرونة بها. ذلك أن الشرف يمكنه أن يأخذ عدد لا متناهي من الأنواع، كونها تُنسج من خلال الروابط الاجتماعية التي يشكلها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع.

أولا- الشرف البورجوازي (l'honneur bourgeois):

تعود تسمية هذا النوع من الشرف بهذا الشكل إلى الطبقة البورجوازية.[52] وهي فئة اجتماعية "تتوسط طبقة النبلاء والطبقة العاملة"[53]، وقد برزت هذه الطبقة نتيجة التحولات الاقتصادية التي أحدثتها الثورة الصناعية في المجتمعات الغربية بخاصة الأوروبية.

ويعتبر الشرف البورجوازي أكثر الأنواع شهرة وانتشارا في المجتمعات البشرية، ذلك أن "مؤداه التسليم الجماعي بوجوب احترام الكل للكل"[54]. فهو شرف مؤسس على الاحترام بين جميع أطياف المجتمع، هذا يعني أنه شرف لا يخص

الطبقة البرجوازية لوحدها وإنما يمتد سلطانه إلى جميع الطبقات المؤلفة لمجتمع ما.

وهذا النوع من الشرف يقتضي من أفراد المجتمع الحيطة والحذر، فهو جد حساس ذلك أن أي زلة ستفقد صاحبها السمعة الحسنة التي كان يتمتع بها؛ "فكل من خان الثقة وانتهك القانون لن يكون أبدا جديرا لا بثقة ولا بأمانة ولا بقانون"[55] يقول شوبنهاور.

ثانيا- الشرف المهني (l'honneur professionnel):

هذا النوع من الشرف يتمظهر أساسا في الحقل المهني من خلال "الرأي العام الذي يكونه صاحب مهنة عن نفسه"[56]. بحيث يصاغ في التصور الجمعي بأن هذا الفرد هو الأجدر بالنشاط الذي يمارسه عن سواه، كونه يتوفر على الشروط والخصائص التي تقتضيها الوظيفة.

وعلى هذا النحو، فإن الشرف المهني يتطلب تقدير المهام التي يؤديها صاحبها وكذا المنصب الذي يشغله. بحيث يزداد حرص الفرد على أداء مهامه وواجباته على أكمل وجه، لما يكون المنصب المتقلد سياسيا أو في إحدى دواليب الدولة، حتى يحقق شهادة الزملاء والخلفاء له بذلك.[57]

والقول بأن حرص الفرد يزداد عندما يكون المنصب سياسيا أو في إحدى دواليب الدولة، لا يعني أن باقي الوظائف لا تختص بالشرف، بالعكس تماما. فشوبنهاور يرى بأن الشرف الوظيفي يشمل جميع الوظائف في المجتمع من أبسطها إلى أكثرها تعقيدا، فهو يشمل مهن الطب، المُحاماة، إلى تلك العسكرية التي تقتضي الشجاعة والبسالة في الدفاع عن الوطن.[58]

ثالثا- الشرف الجنسي (l'honneur sexuel):

تبرز ملامح هذا الشرف في الدلالة الرمزية التي يحملها الجسد وبخاصة الأنثوي، ذلك أن العلاقات الجنسية من الأمور الرئيسية في حياة المرأة على حد تعبير شوبنهاور. وهو شرف ينقسم إلى قسمين: شرف أنثوي وشرف ذكوري.

1. الشرف الأنثوي:

يذكر شوبنهاور أن "الشرف النسوي قائم بالمطلق على شرط العفة الجسدية التي هي مناط خلاص الأنثى وتحقق ذاتها"[59]. وهو شرف تبلور في خضم ظروف اجتماعية جعلت أن تطالب النسوة من الرجال أن يحققوا لهم كل مطالبهم، وفي مقابل ذلك تحافظ النسوة على عفتهن الجسدية والإخلاص لأزواجهن.

2. الشرف الذكوري:

فشرف الرجل يقتضي، في حال خيانة الزوجة له، أن يثأر لنفسه.حيث يشكل الانفصال عنها أضعف ما يمكن فعله؛ إذ أنه إن لم يفعل ذلك فستلاحقه وصمة العار من طرف المجتمع الذكوري.

رابعا- الشرف الفروسي (l'honneur Chevaleresque):

يرى شوبنهاور بأن هذا النوع من الشرف هو شرف كاذب ومزيف. ذلك بالنظر إلى المبادئ الوحشية والهمجية التي تحكمه، والتي تظهر غريبة أمام العقل السليم ذو النوايا الحسنة. وهو نوع تبلور أساسا في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى.

لهذا فسنحاول في الأسطر المتبقية استعراض مبادئ الشرف الفروسي مثلما قدمها شوبنهاور[60] وهي ستة مبادئ:

أ. الشرف لا يتحدد برأي الغير في استحقاقه من عدمه، بل بالتعبيرات الخارجية المادية عن هذا الرأي. سواء كان صادقا أو كاذبا، يستند على أسس أو تعوزه.

بمعنى أن الشرف لا يرتبط بالرأي الداخلي الذي يحمله الأخرون عن مدى استحقاقنا لهذه القيمة من عدمه، وإنما في الألفاظ المادية عن هذا الرأي بغض النظر عن حقيقة استحقاقنا له، فبمجرد أن يعبر الآخرون بأننا نستحق الشرف يصبح لنا شرف ولو أننا لا نستحق ذلك. فالتعبير هو اعتراف كاف!

ب. لا يرتبط شرف الشخص بأفعاله، بل بما يفعل به الآخرون. بمعنى أن شرف الفرد رهينة الأقوال والأفعال التي يقوم بها الأخرون اتجاهه، أي أن الفرد رهينة المجتمع. وعلى هذا النحو فالشخص المتضرر من أقوال وأفعال الأفراد المحيطون به ملزم بالرد لاسترجاع شرفه ولو استلزم ذلك اللجوء إلى العنف، فالغاية تبرر الوسيلة!

ج. مصدر التوتر والقلق بالنسبة للشخص الذي يؤمن في مبادئ الشرف الفروسي هو شرفه الشخصي، إذ لا يكترث في أخلاقه ما إذا كانت فاسدة أو صالحة. لهذا فحيث ما تم التعدي على شرفه يكون الرد في أسرع حال من خلال المبارزة. وإذا كان المعتدي من فئة اجتماعية غير تلك التي تحتكم إلى الشرف

الفروسي فإنه يتم القضاء عليه مباشرة من طرف المعتدى عليه.

د. الشرف الفروسي لا يخضع لمنطق العقل والحجة والبرهان، وإنما للغة الوقاحة والسذاجة اللتان تحكمان على الفكر الرجيح بالانغلاق والانزواء. ذلك أن الشرف الفروسي يحتكم إلى القوة والغلظة في المعاملة، فالشخص "الأكثر فظاظة وبذاءة هو المحق في كل الأحوال" يقول شوبنهاور.

هـ. أن المنازعات ذات الصلة بالمساس بالشرف تُحل عبر اللجوء إلى العنف الجسدي ممثلة أساسا في المبارزة. فهي بمثابة محكمة العدل العليا في هذا النوع من الشرف الذي يرى شوبنهاور بجواز تسميته بشرف القوة. وذلك بالنظر إلى هيمنة الوحشية على الحكمة إذ يقول في هذا الصدد "كل بذاءة في السلوك استفزاز لحيوانية الانسان في الانسان، وإقرار بالعجز الأخلاقي للعقل"[61]

و. يفقد الإنسان ثقة الغير له بمجرد عدم التزامه بالكلمة أو بالوعد الذي قضاه على شرفه، فبمجرد تعهد الإنسان بشرفه يستلزم منه ذلك الوفاء كل الوفاء بكل الالتزامات ولو كان ذلك على حساب حياته.

خاتمة:

في ختام هذا المقال الموسوم بـ: "الشرف في فلسفة آرثر شوبنهاور" والذي حاولنا من خلاله تحليل ومن ثم فهم تصور الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور لمفهوم الشرف، نصل إلى جملة من الاستنتاجات والتي نلخصها فيما يلي:

- بالرغم من أن آرثر شوبنهاور تعمق في حديثه عن الشرف وفصل في هذه القيمة الاجتماعية جيدا، إلا أنه لا يعيرها الاهتمام الكافي ذلك أنها قيمة تؤثر كثيرا في مفهوم السعادة بالنسبة إليه.

- التصنيف الذي وضعه شوبنهاور لأنواع الشرف لا يمكن الأخذ به والقياس عليه في مجتمعات أخرى، ذلك أنه يختص المجتمع الأوروبي بدليل التسميات التي قدمها شوبنهاور لبعض الأنواع مثل الشرف البورجوازي.

إن الشرف بقدر ما هو قيمة أخلاقية تنسج جملة من الخصائص والصفاة السامية التي تلزم الفرد التحلي بها، إلا أن شوبنهاور رسم التصور إلى درجة كونه قيمة منفعتية فهو القائل بأن كل شرف يستمد مسوغاته من اعتبارات الجدوى والمنفعة التي يحققها.

. قائمة المراجع:

- أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.
- آرتور شوبنهاور: **فن العيش الحكيم تأملات في الناس والحياة**، تر. عبد الله زارو، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2018.
- آرثر شوبنهاور: **العالم إرادة وتمثل**، تر. سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.
- أندرو بووي: **الفلسفة الألمانية**، تر. محمد عبد الرحمان سلامة، الهنداوي، المملكة المتحدة، 2017.
- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، ط3، بيروت، 2006.
- روبرت تسيمر: **في صحبة الفلاسفة مدخل لأعمالهم الفلسفية الرائدة**، تر. عبد الله محمد أبو هشه، ج1، دار الحكمة، لندن، 2016.
- فريدريك نيتشه: **شوبنهاور مربيا**، تر. قحطان جاسم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016.
- كامل محمد محمد عويضة: **الأعلام من الفلاسفة: شوبنهاور**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
- Baraquin, Noëlla, et Jacqueline Laffitte: **Dictionnaire des philosophes**, Armand Colin, France, 2020.

. الهوامش:

1. جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، ط3، بيروت، 2006، ص405.
2. Baraquin, Noëlla, et Jacqueline Laffitte : ***Dictionnaire des philosophes***. Armand Colin, France, 2020, P.343.
3. آرثر شوبنهاور: **العالم إرادة وتمثل**، تر. سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص 10.
4. Baraquin, Noëlla, et Jacqueline Laffitte : **Ibid**, P.343.
5. جورج طرابيشي: **مرجع سابق**، ص405.
6. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص 405.
7. كامل محمد محمد عويضة: **الأعلام من الفلاسفة: شوبنهاور**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص 121.
8. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص406.
9. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص405.

10. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص406.
11. كامل محمد محمد عويضة، **مرجع سابق**، ص 122.
12. Baraquin, Noëlla, et Jacqueline Laffitte, **IBID**, P.343.
13. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص405.
14. Baraquin, Noëlla, et Jacqueline Laffitte, **IBID**, P.343.
15. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 10.
16. Baraquin, Noëlla, et Jacqueline Laffitte, **IBID**, P.343.
17. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص405.
18. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص 405.
19. كامل محمد محمد عويضة، **مرجع سابق**، ص 121.
20. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص406.
21. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص405.
22. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص406.
23. كامل محمد محمد عويضة، **مرجع سابق**، ص 122.
24. Baraquin, Noëlla, et Jacqueline Laffitte, **IBID**, P.343.
25. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 195.
26. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 195.
27. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 194.
28. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 195.
29. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 196.
30. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 194.
31. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص11.
32. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص55.
33. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص58.
34. آرثر شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص60.
35. Baraquin, Noëlla, et Jacqueline Laffitte, **IBID**, P.343.
36. جورج طرابيشي، **مرجع سابق**، ص 407.
37. أندرو بووي: **الفلسفة الألمانية**، تر. محمد عبد الرحمان سلامة، الهنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص 69.
38. روبرت تسيمر: **في صحبة الفلاسفة مدخل لأعمالهم الفلسفية الرائدة**، تر. عبد الله محمد أبو هشه، ج1، دار الحكمة، لندن، 2011، ص 137.
39. فريدريك نيتشه: **شوبنهاور مربيا**، تر. قحطان جاسم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016، ص 22.
40. روبرت تسيمر، **مرجع سابق**، ص150.
41. آرتور شوبنهاور: **فن العيش الحكيم تأملات في الناس والحياة**، تر.عبد الله زارو، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2018، ص 88.
42. آرتور شوبنهاور، **نفس المرجع**، ص 75.
43. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 89.
44. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 89.
45. جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 763.
46. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 90.
47. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 75.
48. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 91.
49. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 93.
50. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 91.
51. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص-ص 115-116.
52. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 92.
53. أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص45.
54. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 91.
55. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 93.
56. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 93.
57. بتصرف، آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص-ص 95-96.
58. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 97.
59. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 99.
60. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص-ص 103-110.
61. آرتور شوبنهاور، **مرجع سابق**، ص 109.